# الفصل العاشر

## دولة الخلافة العثمانية

### ( ١٢٨١ - ١٩٢٤ م / ٦٨٠ - ١٣٤٢ هـ )

تعد دولة الخلافة العثمانية من أبرز الدول العالمية في التاريخ ؛ فقد عاشت أكثر من ستة قرون ، وامتدت رقعتها الجغرافية إلى آسيا وأوروبا وإفريقيا ، وكانت جيوشها أكثر جيوش العالم عددًا وأحسنها تدريبًا وتسليحًا وتنظيمًا . وقد اعتبر كثير من المؤرخين الدولة العثمانية دولة عسكرية نظرًا لدورها الرائد في الفتوحات الإسلامية وخاصة فتح القسطنطينية ( ١٤٥٣م ) وفتح سراييفو والمجر والبلقان [١] بالإضافة إلى فتوح السلطان سليمان القانوني في أوروبا .. والتي بلغت مشارف فيينا – عاصمة النمسا – وجنوبي إيطاليا ؛ فكانت أول دولة إسلامية تصل إلى هذا العمق في الأراضي الأوروبية . كما قامت بفتح رودس وكريت وقبرص ..

وقد استطاعت الخلافة العثمانية ــ عبر ستة قرون متتالية ــ أن تجمع معظم المسلمين تحت راية واحدة وخليفة واحد ، وكان هذا الانتشار الواسع للدولة العثمانية ــ وتهديدها للمسيحية ــ سببًا قويًا في عداء أوروبا المسيحية لها ، وسعيها الدءوب لتقويض أركانها ، وهدم بنيانها الشامخ ، فقامت ضدها الأحلاف والتكتلات المسيحية في حروب كان النصر فيها حليف الدولة العثمانية في أغلب الأحيان ، غير ان عوامل الضعف والتآكل بدأت تضرب في الإمبراطورية العثمانية المترامية الأطراف ، فكان سقوطها في الداخل المرحلة الأولى لسقوطها وزوال خلافتها .. حيث ضعفت عسكريًا أمام روسيا القيصرية ، حتى أطلق عليها القيصر الروسي " نيقولا الأول " لقب : " **رجل أوروبا المريض** " ، وأصبحت مطمعًا للدول الاستعمارية الكبرى بريطانيا وفرنسا وروسيا .

---

[١] " **البلقان** " : هو الإسم الذي يطلق على شبه جزيرة كبيرة توجد جنوب شرقي القارة الأوروبية ، وتضم ست دول هي ألبانيا و اليونان ورومانيا و بلغاريا و الجزء التركي في أوروبا ، إضافة إلى يوغسلافيا التي انقسمت إلى ستة أجزاء هي : " البوسنة والهرسك " ــ و " كرواتيا " ــ و "صربيا" ومعها " الجبل الأسود" ــ "سلوفينيا" و "مقدونيا" ــ و "إقليم كوسوفا" ( المتنازع عليه ) .

لم يدخر الغرب في معركته ضد الخلافة العثمانية سلاحًا إلا استخدمه ، بدءًا من الإرساليات التبشيرية والغزو الفكري ، وإشعال الثورات والفتن الطائفية والمذهبية ، واصطناع الجواسيس والأعوان وشراء الذمم بالمـــال ، حتى تم تقويض الخلافة الإسلامية على يد **مصطفى كمال أتـــاتورك** ( اليهودي الأصل ) سنة ١٩٢٤ م .

**ويذكر المؤرخ الفرنسي " دين جروسيه " في كتابه " وجـــه آسيا "** أن عملية تصفية الخلافة العثمانية استغرقت ٢٢٠ عامًا ، تضافرت فيها جهود الدول الكبرى عبر السنين الطوال وقد بدأت **بمعاهدة " كارلوفجة "** سنة ( ١١١١ هـــ = ١٦٩٩ م ) لتصفية الدولة العثمانية في أوربا ، وانتهت **بمعاهدة " سيفر "** مع الإنجليز سنة ( ١٣٣٨ هـــ = ١٩٢٠ م ) والتي انتهت بتخلي الدولة العثمانية عن أقاليمها المختلفة في أوروبا وأفريقيا واسيا .

## • بداية الخلافة العثمانية ( الإسلامية ) ..

يعود تكوين الدولة العثمانية إلى الأتراك العثمانيين ، الذي يرجع أصولهم إلى قبيلة : " قايي " ، وهي إحدى قبائل الأتراك الغزية التي كانت تسكن شمال بحر " قزوين " ( والذي كان يسمى ببحر الخزر ) . ففي أيام الدولة الأموية ، تمكنت الجيوش الإسلامية من الوصول إلى منطقة سكناهم ، **إلا أنهم لم يعتنقوا الإسلام جديًا إلا في أوائل العصر العباسي** ( ١٣٢ هـــ = ٧٥٠ م ) . وقد تجمعت هذه القبائل تحت إمرة زعيمهم " سليمان شاه " ، ثم خلفه ابنه **"أورخان "** وهو أبو الأتراك العثمانيين ، إلا أن مؤسس الدولة الذي تنسب إليه هو ابن أخيه **عثمان بن أرطغرل** ، وقد أسسها سنة ٦٨٠ هـــ ( ١٢٨١ م ) ، ومنذ هذا التاريخ بدأ العثمانيون يتوسعون على حساب أملاك الدولة البيزنطية حتى فتحوا عاصمتها القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـــ (١٤٥٣م) على يد السلطان **محمد الفاتح** .

ظلت الدولة العثمانية في مرحلة الدولة حتى سنة ٩٢٢ هـــ ( ١٥١٦ م ) عندما فكر **السلطان سليم الأول** في دخول مصر والشام ، والقضاء على دولة المماليك التي كانت تعاون أعداءه الصفويين ، فهزم المماليك في " **معركة مرج دابق** " ( وادي بجوار حلب ) سنة ٩٢٢ هـــ ، ثم دخل القاهرة وقضى عليهم تماما عند " الريدانية " ( حي العباسية الآن في القاهرة ) ، وأعدم اخر سلاطينهم **طومان باي** في ( يوم الإثنين ٢١ من ربيع الأول ٩٢٣ هـــ = ٢٣ ابريل ١٥١٧ م ) وانتهت بذلك دولة المماليك والخلافة العباسية في مصر ، وأصبحت مصر ولاية عثمانية .

وعقب هذه الواقعة أخذ السلطان سليم أمير المؤمنين " **المتوكل على الله** " آخر خلفاء الدولة العباسية ــ **والذي كان مقامه شكليًا في مصر تحت نفوذ المماليك** ــ ضمن الأسرى وأكرمه غاية الكرم وبقي معه إلى أن أرسله إلى الآستانة وهناك حصلت المبايعة منه إلى السلطان سليم فانتقلت الخلافة الإسلامية إلى ملوك بني عثمان منذ ذلك التاريخ .. وبذلك بدأ العصر العثماني في مصر والشام والحجاز **وأعلن السلطان سليم نفسه خليفة للمسلمين بعد هذه المبايعة .**

**وقد تناوب على الخلافة العثمانية منذ ذلك الحين ثمانية وعشرون خليفة ( اعتبارا من سليم الأول ) حتى** آخرهم **عبد المجيد الثاني** ( أنظر الجدول التالي ) ، إذ سقطت الخلافة من بعده سنة ١٣٤٣ هـ ( ١٩٢٤ م ) . ولقد كانت الدولة العثمانية ــ برغم كل ما أشيع عنها من افتراءات ــ دولة مجاهدة حكمت أجزاء واسعة من العالم الإسلامي . والجدول التالي يبين سلسلة السلاطين العثمانيين منذ بداية تأسيس الدولة وحتى السقوط الأخير ..

## جدول يبين سلسلة سلاطين الدولة العثمانية

| مسلسل | السلطان | مدة الحكم |
|---|---|---|
| ١ | **عثمان الأول بن إرطغرل** | **٦٨٠هـ/١٢٨١م** |
| ٢ | أورخان | ٧٢٤هـ/١٣٢٤م |
| ٣ | مراد الأول | ٧٦١هـ/١٣٦٠م |
| ٤ | بايزيد الأول | ٧٩١هـ/١٣٨٩م |
| ٥ | محمد الأول | ٨٠٥هـ/١٤٠٣م |
| ٦ | سليمان الأول | ٨٠٦هـ/١٤٠٣م |
| ٧ | **مراد الثاني ، للمرة الأولى** | ٨٢٤هـ/١٤٢١م |
| ٨ | **محمد الثاني الفاتح ، للمرة الأولى** | ٨٤٨هـ/١٤٤٤م |
| ٩ | **مراد الثاني ، للمرة الثانية** | ٨٥٠هـ/١٤٤٦م |
| ١٠ | **محمد الثاني الفاتح ، للمرة الثانية ( صاحب البشارة ــ فتح القسطنطينية سنة ١٤٥٣ م )** | ٨٥٥هـ/١٤٥١م |
| ١١ | بايزيد الثاني | ٨٨٦هـ/١٤٨١م |
| ١٢ | **سليم الأول ( أول خليفة للمسلمين )** | **٩١٨هـ/١٥١٢م** |
| ١٣ | **سليمان القانوني** | **٩٢٦هـ/١٥٢٠م** |
| ١٤ | سليم الثاني | ٩٧٤هـ/١٥٦٦م |
| ١٥ | **مراد الثالث ( بلغت الدولة العثمانية أقصى اتساع لها )** | ٩٨٢هـ/١٥٧٤م |

## تابع : جدول يبين سلسلة سلاطين الدولة العثمانية

| مسلسل | السلطان | مدة الحكم |
|---|---|---|
| ١٦ | محمد الثالث. | ١٠٠٣هـ /١٥٩٥م |
| ١٨ | مصطفى الأول، للمرة الأولى. | ١٠٢٦هـ/١٦١٧م |
| ١٩ | عثمان الثاني. | ١٠٢٧هـ/١٦١٨م |
| ٢٠ | مصطفى الأول، للمرة الثانية. | ١٠٣١هـ/١٦٢٢م |
| ٢١ | مراد الرابع ( الخليفة رقم ١٠ ) | ١٠٣٢هـ/١٦٢٣م |
| ٢٢ | إبراهيم. | ١٠٤٩هـ/١٦٤٠م |
| ٢٣ | محمد الرابع. | ١٠٥٨هـ/١٦٤٨م |
| ٢٤ | سليمان الثالث. | ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م |
| ٢٥ | أحمد الثاني. | ١١٠٢هـ/١٦٩١م |
| ٢٦ | مصطفى الثاني | ١١٠٦هـ/١٦٩٥م |
| ٢٧ | أحمد الثالث. | ١١١٥هـ/١٧٠٣م |
| ٢٨ | محمود الأول | ١١٤٣هـ/١٧٣٠م |
| ٢٩ | عثمان الثالث | ١١٦٨هـ/١٧٥٤م |
| ٣٠ | مصطفى الثالث | ١١٧١هـ/١٧٥٧م |
| ٣١ | سليم الثالث ( الخليفة رقم ٢٠ ) | ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م |
| ٣٢ | مصطفى الرابع | ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م |
| ٣٣ | محمود الثاني (قضى على القوات الإنكشارية) | ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م |
| ٣٤ | عبد المجيد الأول | ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م |
| ٣٥ | عبد العزيز | ١٢٧٧هـ/١٨٦١م |
| ٣٦ | عبد الحميد الثاني ( الخليفة رقم ٢٥ ) | ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م |
| ٣٧ | محمد الخامس ( الأمير رشاد ) | ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م |
| ٣٨ | محمد السادس ( محمد وحيد الدين ) | ١٣٣٦هـ/١٩١٨م |
| ٣٩ | عبد المجيد الثاني ( سقوط الخلافة الإسلامية ) | ١٣٤١-١٣٤٢هـ/١٩٢٢-١٩٢٤م |

**ويقسم المؤرخون دولة الخلافة العثمانية إلى دورين رئيسيين :**

- **الدور الأول / دور القوة للدولة العثمانية :**

في الواقع ؛ قام العثمانيون أيام فتوتهم وشبابهم بأعمال تجلت فيها خدمتهم للإسلام والمسلمين ، فرفعوا المصحف وتصدوا للقوى المتربصة للمسلمين ، ودافعوا عن الأرض وصانوا العرض . ولولا أن الله ( ﷻ ) قد قدّر قيام دولة الخلافة العثمانية في فترة سقوط

الأندلس لكانت الهجمة الوحشية للغربيين على مسلمي الأندلس قد اجتاحت شمال أفريقيا وامتدت إلى غيرها من بلاد المسلمين ، ولكن الله سلم .. حيث وقفت الخلافة الإسلامية ( العثمانية ) حجر عثرة أمام أطماع الغرب في العالم الإسلامي .

ويبدأ دور القوة أو الدور الأول للخلافة العثمانية منذ بداية تأسيسها في القرن الثالث عشر الميلادي ، وحتى نهاية حكم السلطان **سليمان القانوني** سنة ٩٧٤هـ ، أي حتى منتصف القرن السادس عشر الميلادي .

## • محمد الفاتح ( ١٤٣٢ ــ ١٤٨١م ) ..

شاءت الأقدار أن يكون السلطان العثماني **محمد الفاتح** هو صاحب البشارة التي بشّر بها النبي ( ﷺ ) في حديثه : [ .. **لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ فَلَنِعْمَ الْأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ** .. ] [ مسند أحمد : ١٨١٨٩ ] . وهكذا ؛ انتظر المسلمون ثمانية قرون ونصف قرن حتى تحققت هذه البشارة ، وفتحت القسطنطينية بعد محاولات جادة بدأت منذ عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ( ٣٢ هـ = ٦٥٢ م ) ، وازدادت إصرارا في **عهد معاوية بن أبي سفيان** في مرتين : الأولى سنة ( ٤٩ هـ = ٦٦٦ م ) ، والثانية بين سنتي ( ٥٤-٦٠ هـ = ٦٧٣ - ٦٧٩ م ) ، واشتعلت رغبة وأملا طموحا في عهد سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي سنة ( ٩٩ هـ = ٧١٩ م ) لكن جميع هذه المحاولات لم يُكتب لها النجاح والتوفيق .

ولد السلطان **محمد الفاتح** في ( ٢٧ من رجب ٨٣٥ هـ = ٣٠ من مارس ١٤٣٢ م ) ونشأ في كنف أبيه السلطان " **مراد الثاني** " سابع سلاطين الدولة العثمانية ، الذي تعهّده بالرعاية والتعليم ؛ ليكون جديرا بالسلطنة والنهوض بمسئولياتها ؛ فأتم حفظ القرآن ، وقرأ الحديث ، وتعلم الفقه ، ودرس الرياضيات والفلك وأمور الحرب ، وإلى جانب ذلك تعلم العربية والفارسية واللاتينية واليونانية ، واشترك مع أبيه السلطان مراد في حروبه وغزواته .

تولى محمد الفاتح السلطنة بعد وفاة أبيه في ( ٥ من المحرم ٨٥٥ هـ = ٧ من فبراير ١٤٥١ م ، وهو في التاسعة عشر من عمره ) ، وبدأ في التجهيز لفتح القسطنطينية، ليحقق الحلم الذي يراوده . وليكون هو محل البشارة النبوية ، بعد أن لمّح له الشيخ " **آق شمس الدين** " بأنه المقصود ببشارة النبي ( ﷺ ) .

وبعد أن أتم السلطان كل الوسائل التي تعينه على تحقيق النصر، زحف بجيشه البالغ ٢٦٥ ألف مقاتل من المشاة والفرسان ، تصحبهم المدافع الضخمة ، واتجهوا إلى القسطنطينية ، وفي فجر يوم الثلاثاء الموافق ( ٢١ من جمادى الأولى ٨٥٧ هـ = ٢٩ من مايو ١٤٥٣ م ) نجحت قوات محمد الفاتح في اقتحام أسوار القسطنطينية ، في واحدة من العمليات العسكرية النادرة في التاريخ ، وانتهت بذلك الدولة البيزنطية التي دامت ألف عام . وقد لُقب **السلطان " محمد الثاني" من وقتها بـ" محمد الفاتح "** وغلب عليه ، فصار لا يُعرف إلا به .

ولما دخل المدينة ترجّل عن فرسه ، وسجد لله شكرًا ، وأمر بإقامة مسجد في موضع قبر الصحابي الجليل " **أبي أيوب الأنصاري** " الذي كان ضمن صفوف المحاولة الأولى لفتح المدينة العريقة ، وقرر اتخاذ **القسطنطينية** عاصمة لدولته ، وأطلق عليها اسم " **إسلام بول** " أي دار الإسلام ، ثم حُرفت بعد ذلك واشتهرت باسم **" إستانبول "** ، وانتهج سياسة متسامحة مع سكان المدينة ، فمنح غير المسلمين ( اليهود والمسيحيين ) حقوقاً مساوية لحقوق المسلمين . وكفل لهم ممارسة عبادتهم في حرية كاملة ، وسمح بعودة الذين غادروا المدينة في أثناء الحصار إلى منازلهم ( قارن هذا مع سلوك رجال الدين المسيحي عقب سقوط الأندلس / أنظر الفصل الثامن ــ فقرة محاكم التفتيش وما بعدها ) .

بعد إتمام هذا الفتح الذي حققه **محمد الفاتح** ، **وهو لا يزال شابًا لم يتجاوز الخامسة والعشرين** ، اتجه إلى استكمال الفتوحات في بلاد البلقان ، ففتح بلاد الصرب سنة ( ٨٦٣ هـ = ١٤٥٩ م ) ، وبلاد المورة ( ٨٦٥ هـ = ١٤٦٠ م ) ، وبلاد الأفلاق والبغدان (رومانيا) سنة ( ٨٦٦ هـ = ١٤٦٢ م ) ، وألبانيا بين عامي ( ٨٦٧-٨٨٤ هـ = ١٤٦٣-١٤٧٩ م ) ، وبلاد البوسنة والهرسك بين عامي ( ٨٦٧-٨٧٠ هـ = ١٤٦٣-١٤٦٥ م ) ، ودخل في حرب مع المجر سنة ( ٨٨١ هـ = ١٤٧٦ م ) ، كما اتجهت أنظاره إلى اسيا الصغرى ففتح طرابزون سنة ( ٨٦٦ هـ = ١٤٦١ م ) .

وكان من بين أهداف **محمد الفاتح** أن يكون إمبراطورا على روما ، وأن يجمع فخارا جديدا إلى جانب فتحة القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، ولكي يحقق هذا الأمل الطموح كان عليه أن يفتح إيطاليا ، فأعدّ لذلك عدته ، وجهّز اسطولاً عظيما، تمكّن من إنزال قواته وعدد كبير من مدافعه بالقرب من مدينة " أوترانت " ، ونجحت تلك القوات في الاستيلاء على قلعتها ، وذلك في ( جمادى الأولى ٨٨٥ هـ = يوليو ١٤٨٠ م ) .

وعزم **محمد الفاتح** على أن يتخذ من تلك المدينة قاعدة يزحف منها شمالاً في شبه جزيرة إيطاليا ، حتى يصل إلى روما ، لكن المنيّة وافته في ( ٤ من ربيع الأول ٨٨٦ هـ = ٣ من مايو ١٤٨١ م ، وهو لم يبلغ الخمسن بعد ) ، وأتهم أحد أطبائه بدس السم له في الطعام ، وكان لموته دوي هائل في أوروبا ، التي تنفست الصعداء حين علمت بوفاته ، وأمر البابا أن تقام صلاة الشكر ثلاثة أيام ابتهاجًا بهذا النبأ .

## • سليمان القانوني ( ١٤٩٥ ــ ١٥٦٧م ) ..

السلطان سليمان القانوني ــ في كلمة موجزة ــ هو السلطان سليمان بن السلطان سليم الأول بن السلطان بايزيد الثاني ، ولد سنة ٩٠٠ هـ ( ١٤٩٥ م ) . وقد تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٩٢٦ هـ ( ١٥٢٠ م ) . وفي عهده بلغت الدولة العثمانية أوج قوتها ، فقد قضى على الانفصاليين في الدولة .. وكثرت الفتوحات في عهده ؛ ففتح جزيرة " رودس " سنة ٩٢٩ هـ ( ١٥٢٣ م ) وبعدها انتصر على المجر ، واستطاع أن يدخل العاصمة " بودابست " سنة ٩٣٢ هـ ( ١٥٢٦ م ) كما حاصر عاصمة النمسا " فيينا " سنة ٩٣٧ هـ ( ١٥٣١ م ) . وفي سنة ٩٤١ هـ ( ١٥٣٥ م ) دخل " تبريز " ، وأعاد بغداد ، كما ساعد المسلمين في طرابلس الغرب على طرد الإسبان بإرساله الأسطول العثماني لهم . وفي سنة ٩٥٧ هـ ( ١٥٥٠ م ) أرسل الخليفة الجيوش العثمانية التي احتلت " ترانسلفانيا " ، وحاصر العثمانيون جزيرة " مالطة " سنة ٩٧١ هـ ( ١٥٦٤ م ) ولكن لم يتمكنوا من فتحها . وقد توفي السلطان سليمان أثناء حصار إحدى القلاع النمساوية ، في سنة ٩٧٤ هـ ( ١٥٦٧ م ) .

وقد قام السلطان سليمان القانوني ببناء سور حول مدينة القدس للحماية والدفاع .. بما في ذلك الحائط الفاصل بين مصلى اليهود وحي المغاربة ( وهو حي بمثابة محطة لحجاج المغرب للأراضي الحجازية ) بطول الحي وبارتفاع ٦٥ قدما . وهذا الحـائط له قدسيته عند المسلمين لارتباطه بإسراء الرسول ( ﷺ ) ولذا يسميه المسلمون بحائط البراق . وكان الجميع يطلقون على أسوار مدينة القدس " **سور سليمان** " عرفانا بعمل هذا السلطان العثماني .

وبعد مرور قرنين من الزمان تهدمت الأسوار وبقى القليل منها .. ومنها حائط البراق . وفي نهاية القرن السابع عشر الميلادي أخذ اليهود كعاداتهم محاولة قلب وتزييف الحقائق من أجل مكان لهم في التاريخ وخاصة بفلسطين .. وسردوا الخرافات بأن هذا السور هو : " **سور الملك**

**سليمان** " نسبة إلى الملك سليمان ابن داود ( عليهما السلام ) وليس إلى سليمان .. السلطان العثماني الذي بناه .. **ولم يبذلوا جهدا إلا في تحويل كلمة " سلطان " إلى كلمة " ملك "** ..!!!

- **الدور الثاني / دور الضعف للدولة العثمانية :**

ويبدأ من حكم السلطان **سليم الثاني ( أو محمد الثالث )** حتى سقوط الدولة سنة ١٣٤٣هـ ( ١٩٢٤ م ) في عهد **السلطان عبد المجيد الثاني** .

- **اليهود .. وسقوط الخلافة العثمانية ..**

كان **السلطان عبد الحميد الثاني** [٢] ( أنظر الجدول السابق ) يقف عقبة كؤودا أمام الأطماع الأوربية في تفتيت الدولة العثمانية ، والأطماع الصهيونية في فلسطين . فقد حاولت الصهيونية اليهودية شراء فلسطين من الدولة العثمانية فذهب " **تيودور هرتزل** " في عام ١٩٠١م لمقابلة السلطان عبد الحميد الثاني ــ رحمه الله ــ فتمكن من مقابلته بعد محاولات مضنية وعرض عليه قيام اليهود بسداد جميع ديون الدولة العثمانية ، مقابل السماح لهم بالاستيطان في فلسطين ، لكن السلطان عبد الحميد الثاني رفض كل تلك الإغراءات وقال : " إن ديون الدولة ليست عارا عليها ، وإن بيت المقدس الشريف افتتحه سيدنا عمر رضي الله عنه ، ولست مستعدا أن أتحمل تاريخيا وصمة عار بيع الأراضي المقدسة لليهود ، وخيانة الأمانة التي كلفني المسلمون بالحفاظ عليها .. ليحتفظ اليهود بأموالهم ، فالدولة العثمانية لا يمكن أن تحتمي وراء حصون بنيت بأموال أعداء الإسلام " .

وهكذا ؛ كانت صلابة عبد الحميد الثاني سببا رئيسيا في تأخير مشروع الصهيونية العالمية بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ؛ لذلك سعى اليهود للإيقاع بالسلطان وتشويه صورته أثناء حكمه وكذلك في التاريخ ، وتغلغل اليهود في " **جمعية الاتحاد والترقي** " التي أسقطت السلطان ، وكان على رأس الجمعية اليهودي "**عمانويل كراسو**" .

---

**٢ السلطان عبد الحميد الثاني ( ١٨٤٢ – ١٩١٨ م ) ابن السلطان عبد المجيد الأول ، بويع بالخلافة في ٣١ أغسطس ١٨٧٦ ، وكان في الرابعة والثلاثين من عمره ، أجبر على التنازل عن الحكم في إبريل سنة ١٩٠٩ لأخيه محمد رشاد . . وفي عهده أعلنت بلغاريا وكريت انفصالهما عن الدولة العثمانية والانضمام إلى اليونان ، واستقلت البوسنة والهرسك عن الدولة العثمانية .**

نجحت المكائد والدسائس ــ بعد ذلك ــ في إبعاد السلطان عبد الحميد الثاني عن الخلافة سنة ( ١٣٢٧ هـ = ١٩٠٩م ) بالتعاون مع **حزب الاتحاد والترقي** ، وهو أول حزب سياسي ظهر في تركيا وأصبح هذا الحزب هو صاحب السلطة الحقيقية في الدولة العثمانية ، **وكان معظم أعضائه من الماسونيين** ( أنظر الملحق الأول ) وكان ضباط الجيش التركي هم أبرز الاتحاديين وعلى رأسهم **مصطفى كمال أتاتورك** .

**وبعد خلع السلطان عبد الحميد الثاني .. تولى الخلافة أخوه الأمير رشاد الذي تسمى بمحمد الخامس** وكان في الرابعة والستين من عمره ، وكانت الدولة والعرش العثماني نفسه في حالة احتضار ، لكن الدولة كانت متماسكة إلى حد ما ، وخضع السلطان للاتحاديين الذين سعوا إلى أن يستقر الحكم في قبضتهم ، ولكن تطلعاتهم لم تتحقق ، إذ واجهتهم معارضة شديدة من الرأي العام ، الذي كان يدعو إلى دعم حقوق الخلافة ، وتعديل الدستور لتحقيق هذا الهدف .

ولما وقعت الحرب العالمية الأولى سنة ( ١٣٣٣هـ = ١٩١٤م ) انضمت حكومة الاتحاد والترقي إلى جانب ألمانيا ، ودخلت تركيا حربًا لا دخل لها بها وأجهضت قوتها البشرية والاقتصادية والعسكرية ، حيث تمزق الجيش التركي على جميع الحدود والجبهات نتيجة للقيادة الفاشلة والعميلة .

- **اتفاقية سايكس ــ بيكو ..**

في المحرم ١٣٣٤ هـ = نوفمبر ١٩١٥ م عينت الحكومة الفرنسية المسيو " **جورج بيكو** " قنصلها العام السابق في بيروت مندوبا ساميًا لمتابعة شؤون الشرق الأدنى ، ومفاوضة الحكومة البريطانية في مستقبل البلاد العربية ، ولم يلبث أن سافر إلى القاهرة ، واجتمع بالسير " **مارك سايكس** " المندوب السامي البريطاني لشئون الشرق الأدنى ، بإشراف مندوب روسيا ، وأسفر الاجتماع عن اتفاقية عُرفت باسم " اتفاقية القاهرة السرية " ، ثم انتقلوا إلى مدينة بطرسبرغ الروسية ، وأسفرت هذه المفاوضات عن اتفاقية ثلاثية لتقسيم تركة الدولة العثمانية وتحديد مناطق نفوذ كل دولة على النحو التالي :

- استيلاء فرنسا على غرب سوريا ولبنان وولاية أطنة .
- استيلاء بريطانيا على منطقة جنوب وأواسط العراق بما فيها مدينة بغداد ، وكذلك ميناء عكا وحيفا في فلسطين .

- استيلاء روسيا على الولايات الأرمنية في تركيا وشمال كردستان . واعترفت المعاهدة كذلك بحق روسيا في الدفـاع عن مصالح الأرثوذكس في الأماكن المقدسة في فلسطين .
- المنطقة المحصورة بين الأقاليم التي تحصل عليها فرنسا ، وتلك التي تحصل عليها بريطانيا تكون اتحاد دول عربية أو دول عربية موحدة ، ومع ذلك فإن هذه الدولة تقسم إلى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية ، ويشمل النفوذ الفرنسي شرق سوريا وولاية الموصل ، بينما النفوذ البريطاني يمتد إلى شرق الأردن والجزء الشمالي من ولاية بغداد وحتى الحدود الإيرانية .
- يخضع الجزء الباقي من فلسطين لإدارة دولية .
- يصبح ميناء الإسكندرونة حرًا .

وهكذا تم تقسيم المنطقة العربية بين الدول الاستعمارية الكبرى ، بمقتضى هذه الاتفاقية التي وصفها بعض المؤرخين الأوروبيين بأنها " **ليست صورة للجشع فحسب ، بل صورة مرعبة للمخادعة** " ؛ إذ عملت على تفتيت رقعة المنطقة العربية وتقسيمها .

انتهت الحرب العالمية الأولى سنة ( ١٣٣٧هـ = ١٩١٨م ) بهزيمة ألمانيا وتركيا وتحطّمت دولة الخلافة وتمزق أوصالها ، حيث استولى الإنجليز على قلاع الدردنيل ، واحتلت الجيوش الفرنسية والإنجليزية مدينة إستانبول ، واحتلت اليونان أزمير ، وأضحت اتفاقية سايكس بيكو نافذة المفعول .

وعقب هذه الأحداث ؛ عقدت هدنة مدروز في ( ٢٥ من محرم ١٣٣٧ هـ = ٣١ من أكتوبر ١٩١٨ م ) ونصت على استسلام الدولة العثمانية دون قيد أو شرط ، وهو ما لم يحدث بالنسبة لألمانيا ، وبدأت القوات العثمانية في إلقاء سلاحها ، وبدأت عمليات الاحتلال طبقا للاتفاقيات ، ووقعت الأستانة تحت الاحتلال المشترك للحلفاء تحت قيادة الأميرال البريطاني " كالثورب " .

استيقظ المسلمون على هذا الكابوس ، وهو سقوط دولة الخلافة واحتلالها ، وزاد من كآبة هذه الفاجعة سعْي الأقليات الدينية بالعمل على خدمة مصالحها ، خاصة الأرمن واليونانيين . وجرت مذابح ضد المسلمين ، وظهرت روح بغيضة من التشفي ضد المسلمين ؛ فالجنرال اللنبي قال حين دخل القدس : " **الآن انتهت الحروب الصليبية** " ، أما اليونان فقدموا للقائد

الفرنسي **فرنشية دسيراي** الذي دخلت قواته الآستانة جوادا أبيض ليقلد **محمداً الفاتح** عند دخول القسطنطينية . وبعد هدنة مدروز وصل الجنرال اللنبي القائد الإنجليزي إلى إستانبول ، وطلب من الحكومة التركية تعيين مصطفي كمال قائدا للجيش السادس بالقرب من الموصل .

كان **السلطان العثماني الجديد " محمد وحيد الدين " ( الملقب بمحمد السادس )** يدرك أن وجود تركيا لازم لدول الغرب لإقامة التوازن بينها ، كما أن بريطانيا وفرنسا لن تسمحا بالقضاء على تركيا قضاءً مبرمًا ؛ لأن ذلك يفسح المجال أمام روسيا الشيوعية للاستيلاء على الأناضول ، وبالتالي على مضيق البوسفور والدرنديل ، بل كل ما تريدانه هو جعل الدولة العثمانية دولة صغيرة مثل الدول التي ستقوم على أنقاضها ؛ لذا رأى السلطان أن ما أخذ من الدولة العثمانية لا يسترد إلا بالقتال ، وبالتالي فلا بد من القيام بثورة في البلاد ؛ لذلك استعان بمصطفى كمال ، وعهد إليه بأن يقوم بثورة في شرقي الأناضول حتى يتسنى لرجال السياسة أن يستخدموا هذه الثورة كورقة ضغط أثناء عقد الصلح مع الحلفاء حتى يحصلوا على أكثر ما يمكن من المكاسب ، وللتغطية على هذه الثورة خاصة من الإنجليز الذين كانوا يسيطرون على إستانبول ، عيّن السلطان " محمد وحيد " : " **مصطفى كمال** " مفتشا لجيوش الأناضول بصلاحيات واسعة ، وزوده بمبالغ كبيرة من المال ، ووضع فيه ثقته ، لكن مصطفى كمال خان الأمانة وغدر بالسلطان وعمل لنفسه .

- **من هو مصطفى كمال أتاتورك ( اليهودي الأصل ) .. والذي قضى على الخلافة الإسلامية ...؟!!!**

**ولد مصطفى كمال سنة (١٢٩٩هـ = ١٨٨٠م )** في مدينة " سالونيك " في شمال اليونان وكانت خاضعة للدولة العثمانية ، وكانت مدينة عامرة باليهود ومركزا رئيسيا للنشاط الصهيوني أما أبوه " **علي رضا أفندي** " فكان يعمل حارسًا في الجمرك ، وقد كثرت الشكوك حول نسب مصطفى وقيل إنه ابن غير شرعي لأب صربي ، أما لقب " كمال " الذي لحق باسمه عندما أطلقه عليه أستاذه في الرياضيات في المدرسة الثانوية ( أما لقب أتاتورك ومعناه " أبو تركيا والأتراك " فقد أطلق عليه تمييزا له عن كل ما هو " عثماني " ) . **ويذكر الكاتب الإنجليزي " هـ. س. ارمسترونج " في كتابه : " الذئب الأغبر " أن أجداد مصطفى كمال من اليهود الذين نزحوا من إسبانيا إلى سالونيك وكان يطلق عليهم يهود الدونمة ، الذين ادعوا الدخول في الإسلام .**

وبعد تخرجه من الكلية العسكرية في إستانبول عين ضابطًا في الجيش الثالث في "سالونيك" وبدأت أفكاره تأخذ منحنى معاديًا للخلافة وللإسلام ، ثم ما لبث أن انضم إلى جمعية " الاتحاد والترقي" واشتهر بعد نشوب الحرب العالمية الأولى حين عين قائدًا للفرقة ١٩ ، وهُزم أمامه البريطانيون مرتين في شبه جزيرة " غاليبولي " بالبلقان رغم قدرتهم على هزيمته ، وبهذا النصر المزيف رُقّي إلى رتبة عقيد ثم عميد ، وفي سنة ( ١٣٣٧هـ = ١٩١٨ ) تولى قيادة أحد الجيوش في فلسطين ، فقام بإنهاء القتال مع الإنجليز – أعداء الدولة العثمانية – وسمح لهم بالتقدم شمالاً دون مقاومة ، وأصدر أوامره بالكف عن الاصطدام مع الإنجليز .

- **السلطان وأتاتورك**

غادر مصطفى كمال إستانبول في ( شعبان ١٣٣٧هـ = مايو ١٩١٩ ) بعدما عهد إليه السلطان محمد السادس بالقيام بالثورة في الأناضول ، واختار معه عددًا من المدنيين والعسكريين لمساعدته ، وبعدما استطاع جمع فلول الجيش حوله هناك بدأ في ثورته ، فاحتج الحلفاء على هذا الأمر لدى الوزارة القائمة في إستانبول المحتلة ، وهددوا بالحرب ، فاضطرت الوزارة إلى إقالته ، وعرضت الأمر على السلطان ، الذي أوصى بالاكتفاء بدعوته إلى العاصمة فلم يمتثل أتاتورك لذلك وقال في برقية أرسلها للخليفة : " سأبقى في الأناضول إلى أن يتحقق استقلال البلاد " .. فاضطر السلطان بعد ذلك إلى إقالته .

- **الثورة الكاذبة**

بدأ مصطفى كمال أتاتورك في إشعال ثورته في حماية الإنجليز ، وانضم إليه بعض رجال الفكر وشباب القادة الذين اشترطوا عدم المساس بالخلافة ، واستمر القتال عاما ونصف العام ضد اليونانيين ، استعار خلالها أتاتورك الشعار الإسلامي ورفع المصحف ، وأعلن الحلفاء أثناءها حيادهم ، أما الإنجليز فكانوا يعملون جهدهم لإنجاح هذه الثورة ، فبعد تجدد القتال بين أتاتورك واليونانيين في ( ١٣٤٠هـ = ١٩٢١م ) انسحبت اليونان من أزمير ودخلها العثمانيون دون إطلاق رصاصة ، وضخمت الدعاية الغربية الانتصارات المزعومة لأتاتورك ، فانخدع به المسلمون وتعلقت به الأمال لإحياء الخلافة ، إلى حد أن وصفه الشاعر ( المصري ) أحمد شوقي بأنه : " خالد الترك " تشبيهًا له بـ " خالد بن الوليد " .

وعاد مصطفى كمال إلى أنقرة حيث خلع عليه المجلس الوطني الكبير رتبة " غازي " ، ومعناها الظافر في حرب مقدسة ، وهو لقب كان ينفرد به سلاطين ال عثمان ، فتعزز موقفه الدولي

والشعبي ، ووردت عليه برقيات التهاني من روسيا وأفغانستان والهند والبلدان الإسلامية المختلفة ، وسار العالم الإسلامي فخورًا بثورة مصطفى كمال سنوات عدة ، استغلها في كسب عواطف المسلمين وأموالهم بعدما كسا ثورته بلباس إسلامي سواء في أحاديثه أو في معاملته للزعماء المسلمين مثل الزعيم الليبي أحمد السنوسي ..!!!

- **إلغاء الخلافة الإسلامية**

بعد انتصارات مصطفى كمال انتخبته الجمعية الوطنية الكبرى رئيسًا شرعيًا للحكومة ، فأرسل مبعوثه " عصمت إينونو " ( وخليفته بعد وفاته ) إلى بريطانيا ( ١٣٤٠هـ = ١٩٢١م ) لمفاوضة الإنجليز على استقلال تركيا . ثم افتتحت الدول الأوربية مؤتمر " لوزان " بسويسرا ، **ووضع رئيس الوفد الإنجليزي الشروط الأساسية التالية للاعتراف باستقلال تركيا** ـ بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى ـ وهي :

- أن تقطع تركيا صلتها بالعالم الإسلامي .
- أن تلغي تركيا الخلافة الإسلامية ، كما تتعهد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة الإسلامية .
- أن تختار تركيا لها دستورا مدنيًا بدلاً من الدستور العثماني المستمدة أحكامه من الشريعة الإسلامية .
- إعلان تركيا دولة علمانية .
- طرد الخليفة العثماني خارج الحدود .
- مصادرة أموال وأملاك بني عثمان .

نفذ مصطفى كمال أتاتورك كل ما أملته عليه بريطانيا ، واختارت تركيا دستور سويسرا المدني بدلا من الدستور العثماني ، وفي ( ربيع أول ١٣٤١هـ = نوفمبر ١٩٢٢م ) نجح في إلغاء السلطنة ، وتولى السلطان " **عبد المجيد الثاني**" آخر خلفاء الدولة العثمانية ( أنظر الجدول السابق ) الخلافة بعد هذا الإلغاء ، وتجريد الخليفة من كافة سلطاته الدينية والسياسية .

فرض أتاتورك آراءه بالإرهاب رغم المعارضة العلنية له ، فنشر أجواء من الرعب والاضطهاد لمعارضيه ، واستغل أزمة وزارية أسندت خلالها الجمعية الوطنية له تشكيل حكومة

فاستغل ذلك وجعل نفسه أول رئيس للجمهورية التركية في ( ١٨ربيع أول ١٣٤٢هـ = ٢٩ أكتوبر ١٩٢٣م ) وأصبح سيد الموقف في البلاد .

وفي ( ٢٧ رجب ١٣٤٢هـ = ٣ مارس ١٩٢٤م ) ألغى مصطفى كمال أتاتورك الخلافة العثمانية ، وطرد الخليفة وأسرته من البلاد ، وألغى وزارتي الأوقاف والمحاكم الشرعية ، ثم أصدر مرسومًا بإلغاء الوظائف الدينية وامتلاك الدولة للأوقاف ، وحوّل المدارس الدينية إلى مدارس مدنية ، **وأعلن تركيا دولة علمانية** ، وأغلق كثيرًا من المساجد ، وحوّل مسجد آيا صوفيا الشهير إلى كنيسة ، وجعل الأذان باللغة التركية ، واستخدم الأبجدية اللاتينية في كتابة اللغة التركية بدلاً من الأبجدية العربية . **وتوفى مصطفى كمال أتاتورك في عام ( ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م ) .. عن ثمانية وخمسين عاما** ، وعاش دون زوجة ودون أولاد ، عدا زوجته " لطيفة ( هانم ) " التي أقامت معه سنة واحدة فقط ولم تصبر على مبادئه وفسقه ، إذ كان مسكنه مليئاً بكل أنواع الفجور من خمور ونساء وخلافه .. **وعند دفنه اختلف قواده هل يصلون عليه أم لا .. في ظل علمانية الدولة ..!!!**

وهكذا نجحت أحقاد الغرب ــ اليهودية والمسيحية ــ في إلغاء الخلافة الإسلامية بعد أن ظلت ثلاثة عشر قرنا تضيء للعالم النور ، ولم تنقطع منذ وفاة الرسول ( ﷺ ) وحتى عام ١٩٢٤ م . سقطت الخلافة الإسلامية بعد أن اجتمعت عليها قوى الشرق والغرب الكافرة من الصليبيين واليهود ومن والاهم فأفسدوا أحوال المسلمين وديارهم ، بعد أن أوهموهم أن الخلافة هي سبب تأخرهم وفساد أحوالهم وأن صلاح أمرهم مرهون بزوال الخلافة ، بدعوى أن الدين لا يتفق مع روح العصر الحديث وأن الحضارة الأوروبية هي الرائدة وهي التي حققت السعادة والتقدم والرقي والمساواة بين الشعوب وأن محاكاة الغرب وأحواله هي بداية الطريق لحياة أفضل .. وانخدع بهذه الفرية بعض الشباب المسلم ــ الذي تربى على موائد الغرب والمدارس الأجنبية في داخل وخارج بلادهم ، والذي كان يرضع منذ الصغر مبادئ الكفر والإلحاد في هذه المدارس وعلى هذه الموائد ــ وهلل لهذا السقوط ..!!! **ولكن تبقى كلمة للتاريخ وهي : أننا لا نعفي الشعوب المسلمة ــ المُغيّبة والجاهلة بحقائق الأمور ــ من المسئولية ، وأنها لعبت الدور الرئيسي مع الأنظمة الخائنة في هذا السقوط ..!!!**

وقبل مغادرة هذه الفقرة ، يبقى أن أشير إلى بعض الدول الإسلامية التي عاصرت الخلافة العثمانية وكان لها دور تاريخي في المناطق التي حكمتها ، ومن هذه الدول : الدولة الصفوية بإيران ، ودولة المغول بالهند ، **ودولة محمد علي بمصر** ( التي نافست الخلافة العثمانية في

الحكم ) ، بالإضافة إلى ظهور بعض الحركات المستقلة بعد الاحتلال الإنجليزي والفرنسي والإيطالي لأجزاء واسعة من العالم العربي وأهمها : الحركة المهدية في السودان ، وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالجزيرة العربية ، والحركة السنوسية بليبيا .

## • دولة محمد علي في مصر ..

في كلمة موجزة ؛ ولد محمد على باشا ( ١٧٦٩ – ١٨٤٥ ) بمدينة قولة إحدي المدن اليونانية سنة ١٧٦٩ م وعندما احتل نابليون بونابرت مصر في سنة ١٧٩٨ ، شرعت **الخلافة الإسلامية العثمانية في تركيا** فى تعبئة جيوشها لمواجهة الفرنسيين في مصر ، فانضم محمد على إلى كتيبة مدينة قولة التى ركبت السفينة التركية التى رست فى ساحل أبو قير بالإسكندرية . وقد ظل محمد على بمصر **وشهد انتهاء الحملة الفرنسية [٣] في سنة ١٨٠١** ، ورقاه خسرو باشا إلى رتبة " سر جشمه " أو لواء .

وفى مارس سنة ١٨٠٤ م ثار الشعب المصري ضد المماليك من كثرة وقوع المظالم وزيادة الضرائب .. فانتهز محمد على هذه الفرصة وقام بالتودد إلى الشعب المصري . وفى ١٣ مايو سنة ١٨٠٥م قرر زعماء وعلماء الشعب المصري عزل الوالي العثماني خورشيد باشا وتعيين محمد علي واليا علي مصر بدلا منه . وهكذا تولي محمد على باشا حكم مصر ( تحت مظلة الخلافة الإسلامية العثمانية ) نزولا على رغبة أبنائها في الفترة من ( ١٣ مايو ١٨٠٥ وحتى ١٨٤٨ م ) .. الذي ما لبث أن انفتح على الثقافة الفرنسية ..!!!

بعد أن استتب الحكم لمحمد على باشا .. قام بدعوة أعدائه من المماليك على مائدة طعامه في القلعة .. وبعد أن خلعوا أسلحتهم احتراما لعهد الأمان الذي قطعه معهم وأصبحوا عزلا .. قام بذبح ضيوفه عن بكرة أبيهم .. فى مذبحة القلعة الشهيرة في ١١ مارس سنة ١٨١١ م ..!!! وقام بإلغاء فرق الجنود الإنكشارية أو فرق الجنود العثمانية وبدأ فى إرساء دعائم جديدة لبناء امبراطورية مصرية كبرى يحقق بها طموحاته ، فنهض بالصناعات الحربية وبالجيش المصري ، وقام بضم الحجاز إلي مصر عام ١٨١٨ ، والسودان عام ١٨٢٠ وحتي عام ١٨٢٢ ، وضم الشام عام ١٨٣٢ ، وتحدى محمد علي الدولة العثمانية بعد أن اجتاز ابنه إبراهيم باشا جبال طوروس واحتل أضنه ، وأصبح الطريق مفتوحا أمامه بلا ممانعة للاستيلاء على إستانبول .

---

٣ توجد وثائق تؤكد أن فرنسا قبل انسحابها من مصر كانت قد رتبت الأمور لمحمد علي لكي ينتهي الحكم إليه .



obeikandl.com

غير أن آمـــال محمد على التوسعية والنهوضية دفعت بالأوروبيين ( إنجلترا وفرنسا ) إلى تقويض حلم دولته الكبرى . وبعد موته توالى توريث حكم مصر إلى أبنائه وأحفاده وكثر فيها الفساد .. وانتهت هذه الحقبة التاريخية بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة اللواء محمد نجيب .. الذي أعلن قيام النظام الجمهوري **والإطاحة بالملك فاروق آخر أحفاد أسرة محمد علي** .

**********

obeikandl.com